تقديم

أصل هذا الكتاب مجموعة مقالات كتبها رجل الأعمال الأمريكى المشهور هنرى فورد (مؤسس شركة فورد للسيارات)، من نهاية عام ١٩٢٠م، وحتى بداية ١٩٢٢م، فى مجلة دير بورن إندبندنت.

وقبل ذلك بحوالى خمسين عامًا، كتب الروائى الروسى المشهور فيودور ديستوفسكى(*) عن «المسألة اليهودية» فى يومياته المنشورة فى «مجموعة الآثار الكاملة»- العدد ١٧ لينجراد- عام ١٩٢٩م.

تناول فى يومياته بضع مسائل منها:

إفراط اليهود فى الشكوى عما لحقهم من ظلم واضطهاد فى تاريخهم.

[إننى أعلم حق العلم أن ما من شعب آخر فى هذا العالم دائم من الشكوى من نصيبه والتظلم من هوانه وتعاسته وعذابه فى كل لحظة، وفى كل خطوة يخطوها أو كلمة يتفوه بها]- صفحة ١٧، [قرأت فى عدد آذار من «بشير أوروبا» ما يفيد أن اليهود فى الولايات الجنوبية من أمريكا قد انقضوا بكل ثقلهم على الملايين الكثيرة من الزنوج المعتوقين واستحوذوا عليهم بأساليبهم الخاصة بحرفتهم الأزلية المعروفة «حرفة الاستحواذ على الذهب» مغتنمين نقائص الجمهور المسحوق وغياب الخبرة لديه. ما إن قرأت هذا النبأ حتى

(*) كتب عن «المسألة اليهودية» في يومياته المنشورة عام ١٨٧٧م، ومات عام ١٨٨١م. والنصوص الواردة هنا منقولة من كتاب «فيودور ديستوفسكى والمسألة اليهودية» تعريب: موفق الديلمى، ومن منشورات دار ابن رشد، بيروت ١٩٨٣م.

تذكرت أن هذه الفكرة بالذات قد خطرت لى قبل سنوات خمس، وقتئذ قلت لنفسى: ها قد تحرر الزنوج من ربقة مُلاّك الرقيق، ولكن لن يقيض لهم الإفلات، فسوفِ ينقض على هذه الغنيمة الطازجة اليهود] صفحة ٢٠، ٢١.

[إن أبناء شعبنا البسطاء لا يضمرون أى بغض دينى مبيت سلفًا لليهود من قبيل «أن يهوذا قد باع المسيح» وحتى إذا سمعت هذا القول على ألسنة الصبية أو المخمورين، فإن شعبنا ينظر إلى الفرد اليهودى -أكرر- دون أية كراهية مبيتة. لقد لمست ذلك طوال خمسين عامًا، حيث قيض لى أن أعايش الشعب وأشاطره المكوث فى السجن والنوم على الأسرة الخشبية. كان بيننا نفر من اليهود لم أر أن أحدًا كان يحتقرهم أو يتحاشاهم أو يطردهم. ولكن ماذا نرى؟ هؤلاء اليهود كانوا يتحاشون الاختلاط بالروس، ويرفضون تناول الطعام معهم، ويعاملونهم ببعض الاستعلاء، وأين يجرى هذا؟ فى السجن! بل حتى كانوا يشمئزون ويتقززون من الروس، أى من الشعب «الأصلى»]. صفحة ٢٤، ٢٥.

[«دولة فى الدولة»: فيم تتلخص هذه «الدولة فى الدولة» وما هى فكرتها الراسخة أزليًا، وما هو جوهر هذه الفكرة؟ الإجابة المسهبة تستغرق وقتًا طويلا، وتغدو متعذرة فى مقال قصير كهذا، ومتعذرة أيضًا؛ لأنه لم تأزف بعد كل «الأزمنة والعهود»؛ لذا فالكلمة الفصل للبشرية فى هذه السلالة العظيمة مافتئت فى عهدة المستقبل! ولكن بوسعنا أن نتصور بعضًا من ملامح هذه «الدولة فى الدولة»، الظاهرية منها على الأقل: هذه الملامح هى الانعزال والانطواء على صعيد المعتقدات الدينية المتحجرة، الانغلاق والإيمان بأن ليس ثمة شخصية آدمية سوى اليهودى، أما الآخرون - وإن كان لهم وجود، فينبغى رغم ذلك - تجاهل هذا الوجود:

«تنح عن الشعوب وكون هويتك الخاصة، واعلم أنك منذ الآن «الوحيد لدى الرب» أما الآخرون فافتك بهم أو اجعلهم عبيدًا أو سخّرهم. آمن بالنصر على العالم

أجمع، آمن بأن كل شيء سيرضخ لك. كن صارمًا فى ازدراء الجميع ولا تعاشر فى حياتك أحدًا. وحتى حين تحرم من أرضك ومن هويتك السياسية، حتى حين تتشرد على وجه البسيطة بين الشعوب قاطبة، لا تأبه، بل آمن بما وعدت به، آمن دومًا بأن كل ما وعدت به سوف يتحقق»...

هذا هو جوهر فكرة «الدولة فى الدولة». ص٢٨، ٢٩.

[الله وحده يعلم ما ينتظر العالم من اليهود المتعلمين] ص ٣٠.

[إذن ليس اعتباطًا أن يستولى اليهود هناك (فى أوروبا) على البورصات فى كل مكان، ليس اعتباطًا أن يتحكموا برءوس الأموال، ليس اعتباطًا أن يكونوا أرباب القروض، وأكرر ليس اعتباطًا أن يكونوا أيضًا أرباب السياسة الدولية برمتها. أما ما الذى سيحدث فى المستقبل، فهو أمر معلوم، بالطبع لدى اليهود أنفسهم، وهو أن سلطانهم يقترب، سلطانهم المطلق] ص ٢٦.

***

ما سبق بعض فقرات من يوميات الروائى الروسى ديستوفسكى كتبها عام ١٨٧٧م.

***

قبل أن نتجه من روسيا شرقًا إلى أمريكا غربًا، نتوقف قليلاً فى فرنسا... ونسير عبر الزمان إلى نهاية القرن العشرين ...نجد أن مفكرًا فرنسيًا عالميًا مثل روچيه جارودى يحاكم؛ لأنه طرح فكرة إجراء دراسة علمية عن عدد اليهود الذين قتلهم النازى .. هل هم ستة ملايين؟ أم أربعة؟ أم اثنين؟ أم أقل من مليون؟، وكم قتل النازى من البولنديين مثلاً؟ وكم عدد ضحايا الحرب العالمية الثانية؟

تمت محاكمة جارودى، وأدين، ودفع غرامة فى باريس النور والليبرالية(*). رغم أنه أدان قتل يهودى واحد!.

يمكنك فى فرنسا أو أوروبا أو أمريكا أن تصدر كتابًا تشكك فيه: هل المسيح شخصية حقيقية أم أسطورة خيالية؟ هل ميلاده إعجازى بدون أب؟ أم نتيجة زنا والدته بعسكرى رومانى أو ..... أو ..... أو .....

[ونستغفر الله على ترديد ذلك عن مـريم الطاهرة البتول وعن المسيح، صلى الله عليهما وسلم].

ولن يأبه لك أحد .. فـتلك هى الليبراليـة، وذلك هو التنوير ... أما أن تطلب دراسة علمـية عن ضحـايا النازى من اليهود ... فـأنت ترتكب جريمة ضد الإنسانية، تستحق عليها المحاكمة والعقاب طبقًا للقانون! مثل ذلك يحدث فى بريطانيا مع المؤرخ الإنجليـزى المشهور إيرفنج، ويحدث فى بقية أوروبا مع غيره.

ولنأخذ مـثلاً أخيرًا من أمـريكا الشماليـة - كندا. شكك المواطن الكندى، ارنست زوندل فى ضحايا النازى من اليهود. تمت محـاكمته، وأدين، فاستأنف الحكم، وفى فترة الاستـئناف، استشار لوشتر، الخـبير الأمريكى (من الولايات المتحدة) فى غرف الإعـدام بالغاز، وأرسله فى مهمة علميـة لاستكشاف غرف إعدام الغاز المزعومة.

ذهب الخبير، وعاد بتقريره العجيب، وخلاصته أن تلك الغرف غير مصممة ولا مؤهلة للإعدام بالغاز، ولا يمكن أن تكون استخدمت فى ذلك!

ولكن لم يظهـر ذلك التقـرير فى وسائل الإعـلام، ولا بين المؤرخين، ولا الأدباء وعالم السينما والتليفزيون والمسرح!

(*) يمكن لمن يريد الاستزادة قراءة كتاب محاكمة جارودى - طبعة دار الشروق، وكتاب الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، دار الشروق، و«تقرير لوشتر» من منشورات مكتبة الشروق.

وفى الولايات المتحدة أيضًا، صـرح نجم هولى وود مارلون براندو أن اليهود مسيطرون على صناعة السينما. . . وبعد أيام قليلة اضطر للظهور على شاشات التليفزيون ثانيًا يبكى ويعتذر عما قاله. . .

والمحطة الأخيـرة قبل العـودة لمقالات هنرى فـورد، نسمع تصريحًـا لرئيس وزراء ماليزيا - الذى اعتزل الحـكم منذ أسابيع قليلة - يصرح بأن النازى أعدم عدة ملايين يهودى، وأن يهود اليوم يحكمون العالم بالنيابة.

أثارت تصريحاته غضب زعـماء اليهود، وصرخ زعماء العـالم بلسان اليهود ونيابة عنهم!

هل لو قـال رئيس الوزراء الماليزى إن الولايات المتـحدة تحكم العـالم، هل كانت تثور عليه الولايات المتحدة؟ هل لو قال إن المسلمين - مثلاً - يسيطرون على مصادر البـترول فى العالم، هل يثور أحد؟ بل هل لو قـال - فرضًا - إن المسلمين يحكمـون العالم، هل يـثور المسلمـون على هذا أم يشعـروا بالفخـر والانتشاء؟

***

نعود لمقالات هنرى فورد.

فى هذه المقالات من «اليهودى العـالمى» [ويجب أن نذكر القارئ أن الكاتب يقصـد: اليهودى الذى يـريد أن يسيطر على العالم لحـسابه، وليس اليـهودى الذى يريد أن يعيش فى العالم على قدم المساواة مع بقيـة البشر، يعمل لنفسه، ولمجتـمعه، على أسـاس من الأخوة البـشرية] يستـعرض هنرى فـورد بضع مسائل:

* ما يقـوله اليهود عن اضطهادهم ورمـيهم كل من يقترب من دراسـة «المسألة اليهودية» بتهمة معاداة السامية. هل اليهود مضطَهَدون أم مضطهِدون؟

* جبهات الأغيار التى تتكلم باسم اليهود، وهى فى الواقع موجودة فى كل زمان ومكان (ولا يُستثنى الشرق الأوسط من ذلك).

* من هو اليهودى؟ هل هو من يعتنق اليهودية، ولو كان هنديًا أو من الإسكيمو أو من اليابان؟ أم من ولد من أم يهودية؟ هل اليهودية دين أم جنس؟

* الصهيونية اليهودية، فلسطين، أرماجدون.

* اليهود والسلطة والنفوذ.

* اليهود والمال، فى الولايات المتحدة، والعالم.

عادل المعلم

obeikandl.com